

# لغز البادية

الأستاذ عبدالله بن خميس  
«الرياض»

هذه الصفات دلت بالامراء ، والرؤساء  
والخلفاء ، وعلية القوم ، وذواتهم .. ان يبعثوا بابنائهم  
الى البادية ، المدرسة الاولى لتربية اصيلة ، تعطى  
الشباب الى جانب الرشاقة ، وبناء الجسم بناء رياضيا  
متينا ، وتكونا متكاملان لها .. تعطيه قوة الشخصية ،  
واستحصاد الرأي ، ونبذ الإرادة ، ومصادر الشجاعة  
والدربة ، وسلامة المنطق ، وقوة المارضة ..

قال بعض الاعراب : نحن امراء الكلام ، نبينا  
وشجت مروته ، وعلينا تدلت فصونه ، فنحن نجني  
منها ما احلولى وعذب ، ونترك ما امولج وخبت ..

وتال الجاحظ : ليس في الارض كلام هو امتهج ،  
ولا اتمع ، ولا اتق ، في الاسماع ، ولا اتقود للطباع ،  
ولا اتمق للسان ، ولا ايجاد تقويما للبيان .. من كلام  
الاعراب الفصحاء المعقلاء .

ووصلهم الحارث بن كعدة امام كسرى فقال :  
لهم انفس سخية ، وقلوب جرية ، وعقول صحيحة ،  
وانساب صريحة يمزق الكلام من افواههم مروق  
السهم من الرمية ، اعذب من الماء ، وارق من الهواء  
يطعمون الطعام ، ويضربون الهام ، وهزم لا يرام ،  
وجارهم لا يضام .. ووصف اهدم امراة فقال : كاد  
الغزال يكونها ، لولا ما نقص منه وتم منها .

واوجز اهدم تصيدة كاملة في جملة مقتضبة  
فقال : سبقنا الحي ، وفيهم ادوية السقام ، فقران  
بالحدق السلام ، وخرست الالسن من الكلام ..

البادية خلاف الحاضرة ، وجمها بسوادي ،  
وتسمى بداوة بالكسر ، والنسبة اليها : بسداوي ،  
بالفتح والكسر ، وبدوي أيضا .

وهي من بدا اذا نشأ ، أو اذا ظهر وبرز . وهو  
الارجح ، لبروز البادية في الليالي والقفار ..

والبادية هم سكان الوبر ، الذين يتبعون  
مساقط الفيت ، ويطلبون الكلا والمرمى لما شبتهم ،  
ولا يستقر بهم القرار في مكان معين ، الا في فصل  
الصيف حيث يقطنون المناهل ، ويدنون من المياه .  
والبادية هي اصل العرب ، وسكان جزيرتهم الاولون ،  
وسفر لغتهم المتمد ، منها تكونت الحواضر ، واليها  
ترجع الارومات الاصيلة ، ومنها تدرمت الشعوب  
والقبائل ..

وهي في الجاهلية رمز العرب ، ووجههم الامثل ،  
وفي الاسلام — كما قال عمر — اصل العرب ومادة  
الاسلام . صريح اللغة ولصيحها مصدره البادية ،  
ومادات العرب الكريمة ، وتقاليدهم الاصيلة ، ومميزاتهم  
الاثيرة .. مصدرها البادية ، والشعراء المتواييل ،  
والخطباء المصانيع ، والمتكلمون اللسن .. اعلامهم ،  
ومبرزوهم ، من البادية .. لم تفسد الحضارة سحنهم ،  
ولم تنل سنتهم ولم تفض لهم صعدة ، ولم تقل لهم حد  
.. يتكلمون بالسليقة والقطرة ، منتثر شفاههم من قول  
لصل ، وكلام جزل ، وبيان سليم مستقيم .. يصدر من  
طبع ابي ، وخاطر نكي ، ولسان ذرب طلق ..

في هذه البيئة المتأبئة ، واللغة الصريحة .. تربي سيد العرب عليه السلام ، وتربي اعلام الخلافة ، وكبراء القادة ، ونبلاء المجتمع الاسلامي .. ولم يكن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، من ثقته البادية ، واصلحت لسانه ، فكان لحنه ، وظل لحنه وصمة عار في تاريخه . قال ابوه : اضر بالوليد حيناً له حيث لم نبعثه الى البادية .

خطب الناس يوم عيد مقراً في خطبته : يا ليتها كانت القاضية بضم تاء ليت . فقال عمر بن عبد العزيز : عليك واراخنا الله منك .

وعن البادية اخذ علماء اللغة فصيحها ، ومتوتحها ، وتعلموا في اختيار الامصح ، والا بعد عن الحواضر ، ومجاورة الاعاجم .. فعنوا عناية فائقة بما دونوه ، فاخلصوا لغة العرب في صبيها الذين لم ترتضخ لغتهم عجمة ، ولم يخذشها شذوذ : ولم يداخلها تقصير .. دونوا لغة قريش ، وقيس ، وتميم ، واسد ، وهذيل ، وبعض كنانة ، وبعض طيء ..

وتحاشوا الاخذ من لغة لخم ، وجذام ، وقضاعة ، وغسان ، وايداد .. لجاورتهم اهل الشام . وكذلك تحاشوا لغة تغلب ، وبين الجزيرة ، وبكر ، وعسبد القيس ، وازد عمان ، واهل اليمن ، وبني حنيفة ، وثقيف .. لمجاورة بعضهم للفرس ، ولجواردة الآخرين للاحباش ، ولان بعضهم اهل تجارة ، وبقلة ، واختلاط بمشبهوي اللغة ..

ماخلصوها من تلتة بهراء ، ومن طبطمانية حمير ، ومن كشكشة ربيعة ، ومن ككة هوازن ، ومغلفة هذيل ، ووكم ربيعة ، ووهم كلب ، ومجمعة قضاعة ، وشنشنة اليمن ووتها ، وعجرفة ضبة ..

ومن اخذ عن البادية ، ولقيهم في مراتبهم ومراتهم ، وسبع منهم : يونس بن حبيب الفسبي ، وخلف الاحمر ، والخليل بن احمد ، وابو زيد الانصاري ، والاصمعي ، وابو عبيدة ، والكساني .. وهؤلاء هم من اول من رحل الى البادية واخذ عنها ، وهم من علماء القرن الثاني ..

وكان العلماء في القرن الاول يعتمدون الفطرة ، ويرجعون الى السليقة ، ويستأنسون بمن يلتقونه من الامراب ، ولما اوغل العلماء في التحقيق ، وتأنقوا في الاحصاء والاستقصاء ، وبعدت الحواضر الاسلامية عن البادية ، وداخل لغة البادية المجاورين للحواضر ما داخلها .. بدأ عصر الرحلات ، ولقيا الامراب ..

وكانوا اذا لقوا الاعرابي وشكوا في سلامة لغته ، امتحنوه ، وربما وضعوا له تياسا غير صحيح ، او جمعا غير وارد ، او لفظا غير فصيح ، فان نطق به ، او اقره ، طرحوا لغته ، وان ثبت سليقته ذلك اخذوا عنه ..

قال الاصمعي : سمعت ابا عمرو يقول : ارتبت بلصاحة اعرابي ، فاردت امتحانه ، فقلت بيتا . والقيته عليه وهو :

كم رأينا من مسحب مسلح  
صار لحم النسور والمقبان

فأفكر فيه ، ثم قال رد على ذكر المسحوب ، حتى قالها مرات : فعلمت ان فصاحته باقية ..

وقال ابن جنبي : سألت مرة الشجري - وهو اعرابي من عتيل ، كانوا يرجعون اليه في اللثة - ومعه ابن عم له ، كان دونه في الفصاحة ، وكان اسمه غصنا - فقلت لهما : كيف تحتران حمراء ؟ فقالا : حميراء ، وواليت من ذلك احرفا وهما يجنيان بالصواب ، ثم دسست في ذلك طلباء ، فقال غصن : عليباء وتبعه الشجري فلما هم بفتح الباء : تراجع كالمدمور ، ثم قال : آه عليبي ..

وقال في موضع آخر : سألته يوما - يعني الشجري - : كيف تجمع دكانا ؟ فقال دكاكين . قلت : نسرحانا ؟ قال : سراحين .. قلت فعثمان ؟ قال : ايش عثمانون ! فقلت له : هلا قلت عثمانين ؟ قال : ايش عثمانت ؟ ارايت انسانا يتكلم بما ليس من لغته ؟ .

وهكذا خاطب القرآن هؤلاء القوم ، بمستوى من البيان على غير مثال سبق ، ونهج من التعبير على غير مهيج صرف ، وبلاغة من القول هي المثل الاعلى ، والقول الفصل .. في كل ما تكلمت به امة الضاد ..

لقد كان ازدهار لغة العرب بين يدي الاسلام برعيل ممتاز من الشعراء المقاولين ، وبصفاة من الخطباء المصانق ، وبصيارفة من النقاد ، يزنون ما تفيض به ترائح القوم ، وما تتدفق به خواطرهم .. كانت تلك البيعة اللغوية ، توطئة بين يدي الاسلام ، وترشيحا للذهن العربي لاستقبال المعجزة المنتظرة .. فكان البيان العربي قبيل ظهور الاسلام ، غاية في الابداع ، ونموذجا حيا في تاريخ اللسان العربي .. والا لما وتمت آية محمد عليه السلام من هؤلاء المقاولين ، موقع الذهول ، ثم الاستسلام ..

لم يكن الاعراب بلغتهم الصافية، وذكائهم الفطري واستعدادهم الذهني .. توم استماع ولهم محاسب ، بل رشحتهم هذه الصفات ، ليكونوا مرجعا في تفسير القرآن ، وايضاح غريبه ، وتاصيل لغته ..

سال مير بن الخطاب وهو على المنبر جماعة المسجد عن معنى قوله تعالى : او ياخذهم على تخوف. فسكت القوم ثم قام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا التخوف : التتقص . قال مير : هل تجد له شاهدا من لغة تومك ؟ قال نعم . قال شاعرنا :

تخوف الرجل منها تامكا تردا  
كما تخوف عود النبعة السفن

وكان ابن عباس - وهو حبر الامة ، وترجمسان القرآن - يقول : الشعر ديوان العرب : ماذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي انزله الله بلغة المرب ، رجعنا الى ديوانها ، فالتمسنا معرفة ذلك منه .

وكان رضي الله عنه يجلس بفناء الكعبة ، ثم يكتنفه الناس ، يسألونه عن التفسير ، وثبتة من كلام العرب ، وقد استشهد على جواب سؤال واحد بنيف وتسعين بيتا من الشعر العربي الفصيح .. وهو ما سألته عنه نافع بن الازرق .

وتابى سليقة الاعراب ان تقبل ما خرج عن مقاييسها الفطرية ، او تفهم ما جاني لسانها . بل ترد كل ما سمعته الى اصوله ..

دخل امرابي على الوليد بن عبد الملك - وقد اسلفنا انه لحن - وكان عنده مير بن عبد العزيز ، فقال الوليد للامرابي : من انت بوصل الهمة ؟ فظن الامرابي انه يقول : مننت فقال : المنة لله ولا مير المؤمنين . فقال مير بن عبد العزيز : ان امير المؤمنين يقول لك : من انت ؟ قال : فلان بن فلان . قال الوليد : ما شأنك وفتح النون ؟ قال جدري في وجهي ، ولمحج بساتي . فقال مير بن عبد العزيز : ويحك ان امير المؤمنين يقول : ما شأنك وضم النون ؟ قال ظلمني خنتي . قال الوليد : ومن خنتك وفتح النون ؟ قال : وما سؤالك عن ذلك يا امير المؤمنين حجام مندنا بالبادية قال مير : ان امير المؤمنين يقول لك : من خنتك وضم النون ؟ قال : فلان . وهكذا ندرك ان البادية مصدر اللغة العربية الاول ، ومعناها الاصيل ، وهي المرجع فيما اختلف فيه ، حتى في الفاظ القرآن والسنة .

ورغم ما اصاب الامة العربية من نكبات وهزات ، عبر القرون المتتالية ، ورغم ما لحق لغتها من انتكاسات ، وعلق بها من اوزار ، وداخلها من حجة .. مما جعل الممول في حفظها ، وبقائها .. على السرآن الكريم ، وعلى معاجم علمائها البررة .. رغم ذلك كله فقد بقيت البادية الى يومنا هذا ، تمتاز بلغتها ، وتدل بلسانها الذرب ، وبياناتها الجميل .. غلي هضبة نجد ، ومرتفعات الحجاز ، ومناكب السروات .. تتبادل ثابت لغتها على الواكز واللاكز ، وانفتت من اللغسة الحضرية اللينة الملوحة . وهي وان كانت لا تنطق لغة القرآن سليمة مستقيمة ، ولا تواكب لغة امرى القيس ، والناطقة ، وزهير .. واضرابهم ، على نحو ما وصل الينا من شعرهم ، الا اننا نجعل في الحساب اختلاف اللهجات ، بشكل واضح ، ربما يصل الى استعصاء نهم قبيلة لهجة اخرى في بعض الاستعمالات والمسببات . ومعلوم ان لغة القرآن حصرت في لسان قريش .. كما نجعل في الحساب ايضا ما هنالك من تسهيل في الهمز ، وتسكين لاواخر الحروف ، وادغام لبعضها في بعض .. ونحو ذلك مما يكاد يتفق فيه نطق الجميع .. بحيث اذا اجتمع بهم دارس العربية ، واستمع اليهم ينطقون .. ظنهم يرتضفون عجة موهلة .. واذا تدبر ما يقولون ، وتقدم حقيقة النطق .. تكشفت له حقائق ما كان يظنها باقية في قومه .. وابرز ما يكون هذا في بلاد عسير ، وسراة تحطان ، ومنحدرات جبال الجنوب ، وسهول نجد ..

في احدى زياراتي لتلك المناطق ، كنت يوما جالسا في دكان احد الاخوة في مدينة ابها ، فدخل الدكان رجل مؤتزر بازار مصبوغ باللون الاحمر الفاق ، ويلف اعلى جسمه ما عدا منكبه الايمن ، وجزءا من جنبه ، برداء سهك اغيب ، يشد وسطه على خنجر مغرطة الطول ، بحزام من الادم - هذا الرجل تصير اسمر ، نحيف ، هاري الاشاجع ، تتوقد عيناه ، وتريخان نظرها هنا وهناك ، مكشوف الرأس ، عن لمة منسخلة على مؤخرة رقبته ، مشدودة برباط من الادم ، غارزا في جوانبها طاقات من الفصان البشيران والشيح .. فتكلم بما يشبه النقيق ، فمه صاحب الدكان وأنا لم افهمه .. ولما تفسي حاجته احب هذا البائع ان يعرفني مكانة هذا من اللغة العربية ، سليقة ، ومطرة ، وكان البائع يعرف اهتمامي بمثل ذلك . فاجلسه معنا ، وقال لي تفهم كل ما يقول ، فمأخذ يسأله من قبيلته ، وعن ارضه ، وماشيته ، ومن اية الطرق اتى ، وبماذا هبط المدينة .. الخ واذا به يتكلم اللغة العربية الفصيحة ،

ويسمون المنجل : مخلبا

ويسمون البندقتية : بارودا .

وهكذا تتميز لهجتهم ، كما تتميز كل لهجة من اللهجات الأخرى ، عن أختها .. غير أنها تلتقي في صميم اللغة ومصيحها .. وتجمع على محاربة الدخيل والشاذ .. ويتلق أهلها على نقد ما تاباه اللغة وتكرهه .. ادخل أحد الحضريين أنه في حديث في الإبل ، بحضرة رجل كبير في بلادنا ، نجاء هذا الواغل بمرد للإبل ، فقال : ما راينا ولا ( بلة ) واحدة ، فكانت مكار سخرية ، وهمز وهمز ، واستهجان وممـروف أن الإبل لا مفرد لجمعها ، وفي لهجتهم : يقال : ابل واحده للمجموعة الواحدة من الإبل ، وفي المجموعتين من الإبل يقال : فلان يملك ابلين . ويقولون إذا تجاوزت الإبلين : فلان يملك ثلاث رعايا ، أو ثلاث عصي ، فيكنى بالمعصا عن الإبل . وهكذا .

وأسماء أعضاء الناقة ، وأجزاء جسمها ، تختلف عن أسماء ذلك . من الفرس ، ومن الشاة ، ومن غيرها ، وكذا الحال بالنسبة للطير ، والوحش ، وسائر الدواب .. فإذا أعطى حضري ، أو مستعرب ، أسما أو صفة لجنس من ذلك هو معروف للجنس الثاني ، فقد استهدف للنقد ، وتعرض للسخرية والهزاء .

ونجد أن من يعيش في أحضان البادية من الحاضرة ، أو يكثر الاحتكاك بالأعراب ، أو يعيش في قرى أو مواضع تربها البادية .. نجد لفته تتسم بالفحولة ، والجزالة والقوة ..

ولما كان الشعر حليفا للعربي منذ أتمم العصور ، تغنى به وغر ، ووصف وبكى ، ومدح ورثى .. وسلك به شتى المذاهب ، وولج شتى الأبواب .. ولم يزل كذلك لما هو شعر بادية اليوم ونحن لا نزال نعتزف لهم بسلامة اللغة وأصالة المنطق ؟

رغم أن شعر البادية اليوم يسمى شعرا شعيبيا ، ويسمى شعرا نبطيا ، ويعيش في عصر نارق فيه شعر السليقة والطبع ، وسلامة اللغة ، منذ ما يزيد على ألف سنة ، ولكنه ينزع إلى أصله ، ويمت إليه .. تترؤه على أنه شعر شعبي ، ويقروء الكل كذلك ، ولكن إذا وقتت عنده وثقة المدارس ، وأردت أن تواسج بينه وبين الفصح ، وجدته يعود إليه ، ويعول في أوزانه ، وروبه وتوانيه ، عليه ، ويلتقي معه في أغراضه ومناحيه ، ويحمل صورا من الجمال ، ودفقات من الفن ، والموسيقى ، والجرس تطرب وتمجب ..

التي بعضها مهجور الاستعمال ، مودع بطون المعاجم ولولا سرعة نطقه ، وادغام بعض الفاظه ، وتزك المهز في بعضها ، لم يفنتي من عربيته الأصيلة شيء ..

قلت لصاحبي : ممن هذا ؟ قال : من قبيلة ربيعة . ومعلوم أنها ربيعة اليمن لا ربيعة أخت مضر .

أما بادية نجد ، فهم صميم القبائل التحطانية ، والعدنانية . تحطان ، والدواسر ، وسبيع والمجمان ، وآل مرة ، وبنو هاجر ، وبنو خالد ، والسهمول ، وعتيبة ، ومطير ، وشمر ، وحرب ، وهنزة ، والقرينية .. وغيرهم من القبائل الضاربة في نجد وما جاورها ، هؤلاء لكل منهم لهجة خاصة به ، من اليسير على العارف أن يلتقي فردا لا يعرفه ، ولا يعرف من أيسة القبائل هو .. وبمجرد مخاطبته يدرك أنه من القبيلة الفلانية ..

فمثلا قبيلة شمر : تشير إلى شيء من لهجتها : هي تقلب الهزمة ( شيء ) إلى نون ، فنقول : ما رأيت شيئا ، وما وجد شيئا ، وما حظيت بشيء .

وهي أيضا تستعمل لفظ ( دهج ) بمعنى مر ، أو ألم ، تقول : دهجت المنهل الفلاني : يعني مررت به ، أو الممت به .

وتستعمل ( نهج ) بمعنى ذهب ، ومرادفاته ، تقول : نهج فلان : بمعنى ذهب أو سائر ، أو راح .. كما أن لهجتهم على مذهب القائل :

أيها السائل عنهم وهنسي  
لست من تيس ولا تيس منسي

فهم يحذفون نون الوقاية ، من ( هن ) و ( من ) الشاذ حذفها فيهما لغة ، إذا اتصل بها ضمير المتكلم . فيقولون : ليس عليك مني ، بكسر النون لمقط . وهل سأل عني بكسر النون لمقط وهكذا ..

وهم أيضا يقلبون الهزمة من ( ما ) نونا فيقولون : مان :

وباء الجر المتصلة بالضمير بضمونها ، فيقولون : ما به مان : أي ما به ماء .

ويسمون الجدول : سريرا ، وهذه مواثقة للغة القرآن .

ويسمون السنبل : سبلا

ولسه أيضا :

علي من قديم العبر نفس عزيزة  
امض على عصيانها بالنواجذ

منذ نعومة اظفاري ، ونفسي لا تقبل الدون ،  
ولا ترضى بالهون ، واذا راودتني عصيتي ، وعضت  
على عصيانها نواجذي ، فهي عزيزة ابدأ ..

وتولسه :

مقام الفتى في منصب العز ساعة  
ولا الف عام يصحب الذل صاحبه

فلا بالتني تبلغ النفس حظها  
ولا بالتاني ناز بالصيد طالبه

حياة الفتى هي العز ، ولو لم يكن الا ساعة  
واحدة ولو هاش الف عام ، وهو في ذل ، فليست  
حياة الذل بحياة ..

ثم دعا في البيت الثاني الى العمل ، ورغض  
التمني ، ودعا الى انتهاز الفرص ، واهتبال الاوقات ..  
فبئس من كانت بضاعته الاماني ، وتمس من فرط في  
الفرص واضاعها ..

وقال الشاعر الشعبي ابو حمزة العامري :

تابى من الطمع الزهيد نفوسنا  
ومروجنا تابى من الفحشاء

نفوسنا ابية لا تقودها المطامح الى ذلعة ،  
ومروجنا علة لا تستهويها الفحشاء .. ونعم الصلوات  
صلواتهم .

وقال بركات الشريف :

نلا تمد تمدلاني لاني من وقومي بريما  
لمن قبلكم خالفت بالنصح عدالسي

اروم الامور العاليات بهمة  
ويمعني خذلان قومي واتلالسي

وجزت مجاج الارض شرقا ومغربا  
على كل عيص تقطع البيد مرقال

وليس يلام المرء بمد اجتهاده  
ولا يدفع المقدور حيلات محتال

ان من يتذوق هذا الشعر ، بعد دراسة ورياضة طبع ..  
يجده ذلك الشعر الفصيح بيمينه ، بل يمتاز عليه شعر  
البادية اليوم ، او الشعر الشعبي ، بانطلاقه من  
بيئة عربي اليوم ، ومجتمعه ، وحمله طبع العربي ،  
وصفته كما خلقه الله ، من غير تحمل ، ولا تعمل ،  
حيث ينطلق من الغباء ، والمزرعة ، والريف ، والفلاة ،  
والقرية ، والمسكر . الخ .. اما شعرنا الفصيح اليوم ،  
فهو ابن المدرسة ، او المدينة المترفة ، او المجتمع  
المحضّر ..

تعالوا نستقريء طاقة من شعر البادية ، ونطمس  
خلالها صلتها بشعرنا العربي الفصيح :

قال الشاعر الشعبي ماجد القباني :

لما الناس الا من تراب معادن  
وما طاب من تلك المعادن طابا

بيت من تصيدة شعبية طويلة ، قالها امراي في شملته  
انطلق ليها من سجيته ، وقرأها كما يقرأها غير من  
رواة الشعر الشعبي ، ومريديه ، بلغة عامية دارجة ..  
ولكن حينما تمود بهذا البيت الى اصله ، بصفتك دارسا  
للشعر الفصيح ، ومنذوقا له ، الست تجده بيتا موزونا  
متقى ، سليم اللغة بكر السبل يرمز الى حكمة نبوية  
كريمة : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .. الخ .

ثم اترا للشاعر نفسه :

نديت على الدنيا شقا لو ندييه  
على الدين ما مس النفوس عذاب

يقول نداب في طلب الدنيا ، دابا لو دابناه على  
ديننا ، ما مس نفوسنا عذاب . جرى شاعرنا على  
لغة من لا يهمز ، وتلب الهزة ياء ، كما هو شأن  
الشعر الشعبي .

وللشاعر الشعبي راشد الخلاوي :

ولا يد الا يد الله موتها  
ولا غالب الا له الله غالبه

كل يد مهما تويت فهناك يد اقوى منها ، هي يد  
الله ، وكل غالب قاهر ، فالله اقوى منه ، وقادر على  
قهره ودمره .

الى ان قال مادحا :

وعلى الغياري من علماء هذه الامة وأدبائها في  
هذا الجيل مسؤولية حملها ايهم اسلامهم البسرة  
الاغبياء ، الذين خلصوا هذه اللغة من كل شائبة  
وربية ، ولم يزالوا توأمين عليها ، غيرا على حماها..  
يلقون ما يخدم لغتهم بالنقد اللاذع ، ويتقبلون ما  
يائفونه بالرد الموجه ، ويلاحقون الواغل الدخيل ،  
كما يلاحق المجرم .. حتى وصلت الينا ..

نما هو موقفنا من هذا التراث الضخم ، في عصر  
العلوم ، والفنون ، والمخترعات ، وعصر تواشج  
الامم ، وتقاربها واندماجها .. وعصر التقليد والمحاكاة -  
تقليد الاضعف للاقوى .. ان هذه الامانة تستهدفها هذه  
التيارات ، وتنقصها من اطرافها ، وتنازعها البقاء ..  
تريد منا غيرة ولا كغيرتنا على التراب ، والكبان ،  
والمصالح ..

وتريد منا لغة البادية - وقد علمنا مكانتها من  
لغتنا وتومنا - ان نتخذ الوسائل الكفيلة برمايتها ،  
وحمايتها وجعلها منطلقا لحياء لغة الضاد ، سليقة  
وطبعا ، في السواد الاعظم من بني جلدتنا ، على نحو  
ما كان اسلافنا يفعلون ، في الاستفادة من لغة البادية ،  
وطبعا ، وخشونتها ، ورجولتها ...  
واننا ان شاء الله لنفاعلون .

فتى لا يرى الاموال الا ودائعا  
لديه سوى سيف ورمح وسربال  
وعدة بولاد ولدن ممن القنسا  
وصلرا علنداة من الخيل مصهال

الستم معي في ان هذا الشعر الى جانب كونه  
محبيا نصيحا ، فهو يحمل صورة حية من الجمال ،  
ولفتات بارزة من المعاني الشعرية ، المؤثرة .. وانه  
بهذا يمثل الشعر العربي الناصح ، رغم انه قيل  
بالسليقة ، ونبع من البيئة العامية ؟ !

وبعد فهذه هي لغة البادية ، نثرها وشعرها ،  
تبرز من خلالها سجايا هؤلاء الاعراب ، وتشف من  
طباعهم الكريمة ، واخلاقهم المثلى ، وتنبئ عن الاصرة  
التي تربطها بالصحى ..

لنا اذا لغة في بطون الاسفار ، نجتزها ، ونرجع  
اليها ، ونصدر عنها .. تلتقي اخرى توارثتها السنة  
الاجيال ، وتناقلها الخلف عن السلف ، وبقيت مصدرها  
السليقة ، ومنطقها الطبع ، وحارسها الغيرة ..